

ومن الظواهر التي تميزت بها اللغة العربية ظاهرة التقديم و التأخير، ولا شك ان التقديم والتأخير موضوع طويل و متشعب يتعذر الالمام بشتى جوانبه في بحث كهذا لذا وقع اختيار الباحث على التقديم و التأخير بين كلمتي الأنس والجن متعاقبتين في القرآن الكريم عطفت احدهما على الاخرى بالواو، فلم اقف عند لفظة الجنّة او الجانّ او الناس او الانسان وغيرها، وكذا اذا فصل بين الانس والجن بفاصل غير الواو كالجمله وغيرها. وقد وردت الأنس والجن متعاقبتين عطفت احدهما على الاخرى بالواو في اثني عشر موضعا من القرآن الكريم(١) قدّمت الجن على الانس في تسعة منها و قدّمت الانس على الجن في ثلاثة (٢).

ولكن لم قدّمت الجن في تسعة مواضع و قدّمت الانس في ثلاثة ولم لم يحدث العكس مثلا فتتقدم الانس في تسعة مواضع او يتساويان في التقديم والتأخير ؟ في هذه الدراسة محاولة للاجابة عن هذا السؤال وفي الاجابة عن هذا السؤال بيان لجانب من جوانب اعجاز القرآن الكريم.

وقد ورد عدد من الاشارات التي تتعلق بهذا الموضوع في قسم من كتب التفسير كقولهم إن تقديم الجن على الانس قد تكون فيه دلالة على القوة او كثرة العدد او الاسبقية في الخلق (٣).

إلا انها اشارات عامة متفرقة لم تُعن بوحدة الموضوع وايجاد علاقة بين هذه الآيات في مواضعها المتفرقة من القرآن الكريم.

تمهيد

قبل الخوض في موضوع التقديم والتأخير لا بدّ للباحث ان يقف عند ظاهرة الاعراب لانها تتعلق بهذا الامر، فا اللغات على قسمين لغات معربة ومنها اللغة العربية ولغات مبنية ومنها اللغة الانجليزية واكثر اللغات الاوربية، والاعراب هو تغيّر اواخر الكلم بالحركات المختلفة وهي الضمة والفتحة والكسرة بسبب تأثير العوامل الداخلة عليها (٤) كما في المثال الآتي (قرأ محمد كتابا) تقابلها في الانجليزية

(mohammd read abook) فنلاحظ ان اواخر الكلمات في اللغة العربية المعربة تتغير بالحركات، ونجد الكلمات في اللغة الانجليزية المبنية ساكنة الاخر.

ولا يعني ذلك ان اللغة العربية كلها معربة بل فيها المعرب وفيها المبني (٥) فمعلوم ان لغتنا اسماء وافعال وحروف فالحروف (٦) كلها مبنية واما الافعال فالماضي والامر مبنيان والفعل المضارع معرب ومبني. واما الاسماء فكلها معربة ما عدا سبعة انواع من المبنيات وهي الضمائر مثل انا وانت وهو، واسماء الاشارة مثل هذا وهذه وهؤلاء، والاسماء الموصولة مثل الذي والتي والذين واسماء الافعال كصه وأف وشتان، واسماء الاستفهام كآين وكيف ومتى، واسماء الشرط كمن وما ومهما وبعض الاعلام المركبة كسيبويه وبعليك وحضرموت.

ومع ما تقدم من المبنيات تعدّ اللغة العربية من اللغات المعربة على سبيل التغليب لانّ القسم الاعظم من اسمائها معرب فيه المرفوعات وفيه المنصوبات وفيه المجرورات، فالمرفوعات اربعة وهي المبتدأ والخبر وما الحق بهما والفاعل ونائب الفاعل، والمجرورات اثنان المجرور بالاضافة والمجرور بحرف الجر، وما عدا ذلك المنصوبات ومنها المفعول به والمفعول فيه والمفعول لاجله والحال والتمييز والاستثناء وبقية المنصوبات.

واما التوابع وهي النعت والعطف والتوكيد والبدل فتحدد حركتها بحسب حركة متبوعها رفعا ونصبا وجرا.

وتتألف من هذه الأسماء والافعال والحروف الجمل في اللغة العربية، وهي على قسمين جملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر وجملة فعلية مركبة من فعل وفاعل وهذه الاربعة تعرف بالعمدة وسميت بذلك لاننا لا يمكن ان نؤلف الجمل إلا بها، وبقية الاسماء تسمى بالفضلة لانه يمكن ان تؤلف الجمل دونها.

جاء في شرح المفصل "اعلم انه قدم الكلام في الاعراب على المرفوعات لانها اللوازم للجملة والعمدة فيها التي لا تخلو منها وما عداها فضلة يستقل الكلام دونها" (٧).

وهناك اقسام اخرى للجمل ذكرها العلماء لا تعيننا في هذه الدراسة (٨)

الاول وجوبا لعدم وجود علامة للاعراب تميّزه من الفاعل، واخر المفعول به (إياه) في الآية وجوبا لآته محصور.

وفي الباب مسائل أخرى يجب فيها التقديم او التأخير غير ما ذكر (١٢) وما سوى ذلك يجوز لنا فيه ان نقدّم المفعول أو نوخره تبعاً لما تقتضيه طبيعة الكلام. والذي يعنينا هنا التقديم والتأخير بين لفظتي الأُس والجن في القرآن الكريم، قال سيبويه في تقديم بعض اجزاء الكلام على بعض "كأنهم انما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه اعنى وان كانا جميعاً يهمانهم و يعنيانهم" (١٣).

وقال عبد القاهر الجرجاني "واعلم انا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الاصل غير العناية والاهتمام"، يعني ان العرب لا يخرجون عن الاصل في ترتيب الجملة العربية الى صور اخرى من التقديم والتأخير إلا اذا وجد سبب يحملهم على العناية و الاهتمام بجزء من اجزاء الجملة دون غيره فيقدمونه على غيره، وقد مثل لهذا الامر بقوله "ان معنى ذلك انه قد يكون من اغراض الناس في فعل ما ان يقع بانسان بعينه ولا يبالون من اوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الاذى انهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعينهم منه شئ فاذا قتل واراد مريد الاخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول (قتل الخارجي زيد) ولا يقول (قتل زيد الخارجي) لانه يعلم ان ليس للناس في ان يعلموا ان القاتل له (زيد) جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد وانهم قد كفوا شره وتخلصوا منه" (١٤). فمدار الامر في التقديم والتأخير هو العناية والاهمية التي يراعيها المتكلم في نفس السامع، فنحن نقول (زار محمد جاره وابن عمه) فنقدم الجار اذا كان بينه وبين محمد قطيعة طويلة مثلا لانّ العلم بزيارته اكثر غرابة واهمية عند السامع من غيره، ولكننا نقدّم ابن العم على الجار فنقول زار محمد ابن عمه وجاره، اذا كان الامر خلاف ذلك كأن يكون بين محمد وابن عمه خصومة شديدة او كان ابن عمه غائباً غيبة طويلة ولم يعلم المخاطب بعودته، وقس على ذلك.

أما تقديم الانس على الجن للأهمية والغربة التي يراعيها المتكلم في نفس السامع فقد ورد في ثلاثة مواضع، قال تعالى ﴿ثُمَّ لِيَسْأَلَنَّ أَقْرَبَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ أَلَسَ لَكُمْ آيَاتٌ مِّنْ دُونِ هَذِهِ﴾ (١١٢)

فذكر ان الشياطين يكونون من الانس مثلما يكونون من الجن (٢٣) والعرب كانوا يعرفون شياطين الجن ويقولون ان لكل شاعر شيطاناً من الجن يلهمه الشعر ويستعيذون بالله من الشيطان الرجيم، ولكن ان يكون الشيطان من الانس امر له اهمية ويثير الغربة في انفسهم فقدّم الانس على الجن في هذا الموضع ليُعلم انّ من الانس من له من المكر والغواية والشر ما يفوق فيه شيطان الجن.

وأما الآية الثانية فقد جاءت في معرض تحدّي الله عز وجل عباده في ان يأتوا بمثل هذا القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّورَةَ﴾ (٢٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّورَةَ﴾ (٨٨).

فقدّمت الانس على الجن لان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم من الانس وكانوا يفتخرون بفصاحتهم وحسن بيانهم، فهم اجدر بالتحدي من غيرهم، واما الجن فنحن لا نعرف شيئاً عن لغتهم ولا ندري كيف يتفاهمون؟ وهل يعرفون العربية؟ فالذي يهم المخاطب في هذا المقام ان يقدّم الانس الذين يدعون الفصاحة ويفتخرون بها فإن عجزوا فلا غربة ان يعجز غيرهم.

ومما قدّم فيه الانس على الجن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّورَةَ﴾ (٥) جاءت الآية حكاية عن الجن الذين استمعوا الى القرآن وعجبوا مما فيه فأمن فريق منهم وكذّب آخرون، وظنّ المؤمنون منهم بعدما رأوا من الآيات والحقائق والبراهين ان لا يفتري على الله الكذب احدٌ من الانس والجن (٢٥)، ولكن هل كان ظنّهم بالمعاندين من بني جنسهم الجن الذين خبروا احوالهم وعرفوا اسرارهم واحاطوا بمكرهم وحيلهم ومدى الشر الذي في نفوسهم مساوياً لظنّهم بشياطين الانس الذين لا يعرفون عنهم كثيراً من هذه الامور؟ لا شك ان استغرابهم وعجبهم من جرأة شياطين الانس على معصية الله وهم بمنزلة التلاميذ اشد واكثر من عجبهم من شياطين الجن وهم بمنزلة الاساتذة لشياطين الانس، لذلك كله قدّمت الانس على الجن في هذه الآية، والله اعلم.

نتائج البحث

- تعد ظاهرة التقديم والتأخير المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الاعراب واحدة من الظواهر التي اغنت لغتنا العربية بسعة في التعبير وحرية في الكلام مكنت الناطقين بها من اداء ادق المعاني من خلال صياغة الجملة بصور مختلفة عن طريق التقديم والتأخير بين اجزاء الكلام.

- ذكر عدد من علماء العربية كسيبويه وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما انّ العرب يقدّمون من الكلام ما يهمهم و يعينهم على غيره، وقد تبين للباحث من خلال هذه الدراسة التطبيقية على لفظتي الانس والجن في القرآن الكريم انّ تقديم احدهما في مواضع وتقديم الاخرى في مواضع غيرها راجع الى العناية والاهتمام الذي قصد اليه المتكلم، فقد قدّمت الجن على الانس في تسعة مواضع لانّ اهتمام السامع بالجن الذي يمكن ان يلحظ من خلال السياق اكثر من عنايته واهتمامه بالانس في تلك المواضع، وقدّمت الانس على الجن في ثلاثة مواضع مراعاة للعناية والاهتمام اللذين نجدهما عند المخاطب بالانس وما يتعلّق بهم من امور في تلك المواضع، وقد تقدّم انّ العرب انما يقدّمون من الكلام ما هم به اعنى وانّ كان الكلام كله يهمهم ويعينهم.

- يمكن القول مما ورد في هذا البحث انّ كل لفظة من الفاظ القرآن وضعت في المكان الذي يناسبها، وفي ذلك بيان لجانب من جوانب اعجاز القرآن الكريم.

والله ولي التوفيق

الهوامش

(١) ينظر الانعام ١١٢ و ١٣٠ -والاعراف ٣٨ و ١٧٩ والاسراء ٨٨ والنمل ١٧ وفصلت

٢٥ و ٢٩ والاحقاف ١٨ والذاريات ٥٦ والرحمن ٣٣ والجن ٥.

(٢) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ١١٥.

- (٣) ينظر تفسير ابي السعود ٦ / ٢٧٧ و ٨ / ١٤٤.
- (٤) ينظر الايضاح في علل النحو ٦٩ - ٧٠ وشرح المفصل ١ / ٨٩ و ١٤٠ وشرح الرضي على الكافية ١ / ٥٥ وما بعدها وشرح شذور الذهب ٥٠ - ٥٢ وشفاء العليل في ايضاح التسهيل ١ / ١١٣.
- (٥) ينظر الجمل في النحو ٢٦٠، شرح ابن عقيل ١ / ٢٨ وهمع الهوامع ١ / ٥٩ - ٦٤.
- (٦) نعني بها حروف المعاني كحروف الجر وحروف العطف وغيرها لا حروف المباني التي نبني منها الكلمات وهي حروف الهجاء.
- (٧) شرح المفصل ١ / ١٤٤ وينظر الكتاب ١ / ٢٣ وشرح شذور الذهب ١٥٥ ودلائل الاعجاز ٥ - ٦ وشفاء العليل ١ / ٢٦٩ - ٢٧٠ وهمع الهوامع ١ / ٣٥٩ و ٢ / ٥.
- (٨) ينظر شرح المفصل ١ / ١٧١ ومغني اللبيب ٤٩٠ - ٤٩٢.
- (٩) ينظر شرح الرضي على الكافية ١ / ٢٢٩ وشرح ابن عقيل ١ / ٢٢٧.
- (١٠) الايضاح في علوم البلاغة ١ / ١١٣ و ١١٧ وينظر الخصائص ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ والبرهان ٣ / ٢٣٣ وشرح ابن عقيل ٢ / ٩٦.
- (١١) ينظر معاني النحو ٢ / ٤٧٥ - ٤٨٠ و ٢ / ٤٦٦ - ٤٦٧.
- (١٢) ينظر شرح الرضي على الكافية ١ / ٢٣٧ - ٢٣٩ وشرح ابن عقيل ٢ / ٩٧ - ١١١.
- (١٣) الكتاب ١ / ٣٤ و ١ / ٨١ و ٢ / ١٤٣.
- (١٤) دلائل الاعجاز ٧٧ - ٧٨.
- (١٥) ينظر معاني القرآن وعرابه ٢ / ٢٣٦ واعراب القرآن للنحاس ٢ / ١٠٢ - ١٠٣ وتفسير الكشاف المجلد الاول ٣٤٥ وزاد المسير ٤٠٣ والمصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ٤٤٨ وايسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٤٢٣.
- (١٦) تفسير ابي السعود ٨ / ١٤٤، وايسر التفاسير لكلام العلي الكبير ١٥٢٩.
- (١٧) ينظر تفسير البيضاوي ١ / ٣٦٨ وتفسير ابي السعود ٣ / ٢٩٥.
- (١٨) ينظر تفسير ابي السعود ٣ / ٢٩٥ و ٨ / ١٤٤.
- (١٩) ينظر تفسير البيضاوي ٢ / ٣٥٣ وتفسير ابي السعود ٨ / ١٢ و المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ١٢٢٢.

- (٢٠) ينظر المصدر نفسه ١/ ٣٣٨ وتفسير ابي السعود ٣/ ٢٢٧.
- (٢١) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٣/ ١٦٧ وتفسير ابي السعود ٦/ ٢٧٧.
- (٢٢) ينظر تفسير ابي السعود ٦/ ٢٧٧.
- (٢٣) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٧/ ٦٧ وتفسير البيضاوي ١/ ٣١٧.
- (٢٤) ينظر تفسير البيضاوي ١/ ٥٨١ وتفسير ابي السعود ٥/ ١٩٣.
- (٢٥) ينظر المصدر نفسه ٢/ ٥٣٤ وتفسير ابي السعود ٩/ ٤٣.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- * اعراب القرآن/ ابو جعفر احمد ابو محمد ابن اسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق وشرح وفهرسة الدكتور احمد محمد قاسم/ دار ومكتبة الهلال/ الطبعة الاولى/ ٢٠٠٤ م.
- * ايسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير على ايسر التفاسير/ تأليف ابي بكر جابر الجزائري/ مكتبة العلوم والحكم/ الطبعة الاولى الجديدة/ المملكة العربية السعودية/ ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢ م.
- * الايضاح في علل النحو/ ابو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) تحقيق مازن المبارك/ مكتبة دار العروبة/ مطبعة المدني/ القاهرة/ ١٩٥٩ م.
- * الايضاح في علوم البلاغة/ المعاني والبيان والبديع/ جلال الدين ابو عبد الله الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الاولى/ ١٩٨٥ م.
- * البرهان في علم القرآن/ بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم/ الطبعة الاولى/ دار احياء الكتب العربية/ ١٣٧٦هـ. ١٩٥٧ م.
- * تفسير ابي السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم/ ابو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ) طبعة مصححة بمعرفة بعض

- افاضل العلماء ومقابلة على عدة نسخ ومطبوعة باشراف محمد عبد اللطيف/ مطبعة علي صبيح/ القاهرة/ ١٩٥٢م.
- * تفسير البيضاوي المسمى انوار التنزيل واسرار التأويل/ القاضي ناصر الدين ابو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الاولى/ ١٩٨٨م.
- * الجامع لاحكام القرآن/ ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) صححه ابو اسحاق ابراهيم اطفيش/ ١٩٦٠م/ دارالفكر/ مطبعة دارالكتب/ بيروت/ لبنان.
- * الجمل في النحو/ صنفه ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) حققه وقدّم له الدكتور علي توفيق الحمد/ كلية الاداب/ جامعة اليرموك/ اريد/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الرابعة/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- * الخصائص/ ابوالفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار/ الطبعة الرابعة/ وزارة الثقافة والاعلام/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ١٩٩٠م.
- * دلائل الاعجاز في علم المعاني/ تأليف الامام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي/ منشورات محمد علي بيضون/ نشر كتب السنة والجماعة/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة الاولى/ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- * زاد المسير في علم التفسير/ تأليف الحافظ الامام ابي الفرج عبد الرحمن بن علي ابي جوزية (ت ٥٩٧هـ) دار احياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ طبعة مصححة ومنقحة/ الطبعة الاولى/ ٢٠٠٢م.
- * شرح ابن عقيل/ قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري (ت ٧٦٩هـ) على الفية الامام ابي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك (ت ٦٧٢هـ) ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل/ تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد/ مكتبة دار التراث/ القاهرة/ الطبعة العشرون/ مطابع المختار الاسلامي/ ١٩٨٠م.

التقديم والتأخير بين الأنس والجن في القرآن الكريم - دراسة نحوية دلالية

د. علي ناصر محمد

- * شرح الرضي على الكافية/ رضي الدين الاسترآبادي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق يوسف حسن عمر/ منشورات جامعة قار يونس/ ليبيا/ ١٩٧٣م.
- * شرح شذور الذهب/ جمال الدين عبد الله بن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور اميل بديع يعقوب/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الاولى/ ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.
- * شرح المفصل/ موفق الدين يعيش بن علي يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) تحقيق احمد السيد سيد احمد، راجعه ووضع فهارسه اسماعيل عبد الجواد عبد الغني/ دار العلوم/ جامعة القاهرة/ مصر/ ٢٠٠٤م.
- * شفاء العليل في ايضاح التسهيل/ ابو عبد الله محمد بن عيسى السلسلي (ت ٧٧٠هـ) دراسة وتحقيق الدكتور الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الاولى/ ١٩٨٦م.
- * الكتاب/ ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون/ عالم الكتب/ بيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م.
- * الكشف عن حقائق وعيون الاقاويل في وجوه التأويل/ تأليف ابي القاسم محمود ابي عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) داراحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الاولى/ ٢٠٠٢م.
- * المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير/ الامام اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) اعداد جماعة من العلماء/ باشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري/ دار السلام للنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية/ المملكة العربية السعودية/ ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
- * معاني القرآن واعرابه/ الزجاج ابو اسحاق ابراهيم ابن السري (ت ٣١١هـ) شرح و تحقيق عبد الجليل عبدة شلبي/ دار الحديث/ القاهرة/ ٢٠٠٤م.
- * معاني النحو/ الدكتور فاضل صالح السامرائي/ بغداد/ نشر جامعة بغداد/ ١٩٨٧م.
- * المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم/ بحاشية المصحف الشريف/ وضعه محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الحديث/ القاهرة/ الطبعة الاولى/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- * مغني اللبيب عن كتب الاعاريب/ ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله/ بيروت/ لبنان/ الطبعة السادسة/ ١٩٨٥م.
- * همع الهوامع في شرح جمع الجوامع/ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي/ المكتبة التوفيقية/ القاهرة/ مصر.